بسم الله الرحمن الرحيم

نُخْبَةُ الإِعْلامِ الجِهَادِيّ

قِسْمُ التَّفْرِيغِ وَالنَّشْرِ

يقدم تفريغ

خطبة عيد الفطر 1430 هـ

بعنوان كيف كانوا ؟

للشيخ خالد بن عبد الرحمن الحسينان

حفظه الله

الصادرة عن مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد, اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد, وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

أيها الأحباب الكِرام: لنقف وقفة تأمل ووقفة تدبر ووقفة محاسبة مع هذا الجِيل الرباني, الجيل الفريد, الجيل العجيب الذي لم يحدث في التاريخ أن كان جيل مثل جيل الصحابة رِضوان الله تبارك وتعالى عليهم, ولقد أثنى ربنا سبحانه وتعالى على الصحابة رضي الله تعالى عنهم في القرآن الكريم ويالها من تزكية عظيمة أن الله سبحانه وتعالى يزكي هؤلاء عندما يقول ربنا سبحانه وتعالى) : لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ) علِم ما في قلوبهم من الإخلاص ومن الصدق ومن حقيقة الإيمان (فَعَلِمَ مَا في قُلُوبِهِم فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا), ولقد مدح رسولنا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه قرنه, فقال: " خير القرون قرني " أي خير القرون في هذه البشرية كلها هو قرن الصحابة رضوان الله تبارك وتعالى عليهم فهم أطهر الناس قلوباً وعقولاً رضوان الله تبارك وتعالى عليهم.

أيها الأحباب الكِرام لنتأمل في واقع الصحابة كيف يعيشون, كيف كانوا ؟

خطبتنا اليوم: كيف كانوا, أي كيف كان الصحابة رضوان الله تبارك وتعالى عليهم, كيف كان سلوكهم وكيف كان خُلُقهم.

فأولاً كيف كانت منزلة القرآن في قلوبهم؟

القرآن هو دستور الأمة وأساس نهضتها, هو الذي أخرجنا الله سبحانه وتعالى به من الظلمات إلى النور, لقد كان القرآن الكريم له اهتمام عظيم وكبير في واقع الصحابة, حِفظاً وقراءة وتدبراً وعملاً وتطبيقاً, ولهذا يقول عبد الله ابن مسعود رضي الله تعالى عنه الصحابي الجليل عالم من علماء الصحابة يقول وهو يحكي عن واقع الصحابة كيف كان الصحابة مع القرآن الكريم, حتى نقيس واقعنا الآن, فيقول كان الواحد منا - أي من الصحابة - إذا حفِظ عشر آيات - تصوروا عشر آيات - لا يتجاوزهن حتى يعرف معانيها ويعمل بها, الله أكبر! , ما يتجاوز العشر آيات حتى يتعرف على معاني كلام الله سبحانه وتعالى وحتى يعمل بكلام الله جل وعلا بعكس واقعنا الآن أصبح الواحد أو همّ الواحد منا أننا نحفظ القرآن وأن نترنم بالأصوات الجميلة صحيح أن الصوت الجميل مطلوب شرعاً ولكن لا يكون هم الواحد منا أن يكون صوته جميلاً حتى يخرج صوته في الفضائيات والإذاعات ويجتمع عليه الألوف من البشر, لا, لا يكون هذا همك ,همك الأول والأكبر هو أنك تعمل بما في كتاب الله سبحانه وتعالى, فكل واحد منا يحاسب نفسه محاسبة دقيقة هل عمل بكتاب الله سبحانه وتعالى.

كلما قرأت آية تفكر بهذه الآية وتدبرها هل طبقتها في واقع حياتك ؟

آية واحدة في القرآن الأمة كلها عملت بها آية الصيام, فقط في سورة البقرة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) ولكن كم آية وردت في الجهاد كم

من سور القرآن, سورة البقرة وسورة آل عِمران وسورة النساء وسورة المائدة وسورة الأنفال وسورة التوبة وسورة الصف وسورة القِتال - وهي سورة محمد صلى الله عليه وسلم - وسورة الأحزاب, آيات كثيرة وردت في القرآن في الترغيب في الجهاد وحث الناس على الجهاد ولكن الناس أو أكثر الناس لا يعملون بها, وهكذا يا عبد الله تحاسب نفسك ما هي منزلة القرآن كلام الله جل وعلا في قلبك؟

هل له تأثير عظيم ؟

هل له واقع في أخلاقك, في سلوكك, في تعاملك ؟

كم من قارئ للقرآن والقرآن يلعنه والعياذ بالله, يقرأ آيات الربا وهو يتعامل بالربا ولا يعمل بها, وأهل القرآن أحبابَنا الكرام هم مقدمون في الدنيا والآخرة, أما في الدنيا فهم يُقدّمون في الصلاة كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم: " يؤم القوم أقرأهم لكتاب الله ", أما في الآخرة فكذلك هم مُقدّمون في الآخرة فيقول جابر ابن عبد الله الصحابي الجليل رضي الله تعالى عنه قال: " كنا عندما نريد أن ندفن القتلى -قتلى أحد كانوا يدفنون الرجلين في قبرٍ واحد- فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يسأل أيهم أكثر أخذاً للقرآن فيقدمه في اللحد", انظروا يا رعاكم الله كيف أن أهل القرآن مقدمين في الدنيا والآخرة, أما في الآخرة إذا دخلوا الجنة فقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم كما جاء الحديث عند الترمذي عندما يدخل قارئ القرآن إلى الجنة فيُقال له اقرأ وارتق ورتل فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها في كتاب الله, الله أكبر! , فينبغي علينا أيها الأحباب الكِرام أن نحاسب أنفسنا محاسبة دقيقة على كل آية نمر بها ونقرأها ونتدبرها ونتأملها حتى نكون كذلك الجيل والرعيل الأول الفريد.

أما عن عناية الصحابة رضوان الله تبارك وتعالى عليهم في طلب العِلم : فهم ليسوا فقط يحفظون القرآن ويعملون بالقرآن بل كانوا يطلبون العلم ,فكان عندهم حرص عظيم لأنهم يعلمون أن هذا العِلم له أهمية شديدة في حياة الإنسان وإلا كيف يعبد الإنسان ربه وهو لم يتعلم العِلم, كيف يفرق الإنسان بين التوحيد وبين الشرك, بين المعصية وبين الطاعة, بين السنة و البِدعة؟ إلا إذا تعلم العِلم الشرعي؟ ولقد كان الصحابة رضوان الله تبارك وتعالى عليهم يضربون لنا أروع الأمثلة في حبهم وحرصهم وتشوقهم لطلب العِلم, فهذا عبد الله ابن عمرو رضي الله تبارك وتعالى عنه يقول: " كنت أكتب كل شيء يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم " كل شيء يقوله الرسول عليه الصلاة والسلام كان عبد الله ابن عمرو يكتبه من رسول الله صلى الله عليه وسلم لشدة حرصه على العِلم يقول: " فنهتني قُريش " قريش نهتني قالوا كيف تكتب كل شيء يخرج من الرسول صلى الله عليه وسلم فرسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يغضب ويرضى, يقول: " فأمسكت عن الكتابة, فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم وأشار إلى فمه قال اكتب فما يخرج من هذا إلا حق ", انظر إلى حِرصهم فكان كل شيء يكتبه عن رسول الله.

ومن صور حرصهم على العِلم أنهم رضوان الله تبارك وتعالى عليهم كانوا يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم عن كل شيء ولقد أثبتت لنا السنة المطهرة أن هناك أسئلة كثيرة وردت على رسولنا عليه الصلاة والسلام, بل كان الصحابة يفرحون عندما يأتي الأعرابي من البادية يفرحون لأن هذا الأعرابي يسأل الرسول عليه الصلاة والسلام فهم يزدادون بهذا السؤال علماً وفقهاً وفهماً في دين الله جل وعلا, بل كانوا يتحملون المشاق والصبر والسفر والسهر والجوع والحر من أجل طلب العِلم, هذا عبد الله ابن عباس الصحابي الجليل حبر هذه الأمة يقول كان إذا بلغني عن رجل أنه عنده حديث من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أذهب إليه, فإذا كان نائماً - يأتيه مثلاً في القائلة في الظهيرة - فإذا كان نائماً يجلس ابن عباس عند الباب, تصور في الحر وشمس ورمضاء يجلس ابن عباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس عند بابه حتى يخرج

لكي يأخذ منه الحديث, فمرة كان عند رجل فعندما خرج تعجب هذا الرجل ابن عم رسول الله عند الباب في الظهيرة في الحر !! لو قلت لي لأنا أتيتك أنت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال ابن عباس -انظر إلى التواضع تواضع أهل العلم - قال أنا أحق أن آتيك وأسألك, ولم يكن هكذا فقط اهتمامهم بالعلم كحالنا الآن نجمع الكتب ونجمع الشهادات نجمع التزكيات ونحفظ المتون ونحفظ المنظومات, لا ليس هكذا فقط, كان همهم الأول والأكبر هو العمل بهذا العِلم, هذا عبد الله ابن مسعود الصحابي الجليل رضي الله تعالى عنه يقول وهو يصحح مفهوم عندنا عند كثير من الناس في واقعنا الآن ,قال ليس العِلم بكثرة الرواية قال فلان وحدثنا فلان و و و ... لا "ليس العِلم بكثرة الرواية إنما العِلم الخشية", قد يكون إنسان عنده الشهادات العليا والمناصب الرفيعة ولكنه ليس في قلبه خشية لله جل وعلا فهو يحرف الدين ويبدل ويغير من أجل أهواء أناس, فالعلم ليس بكثرة الرواية ولا بكثرة جمع الكتب وإنما هو الخشية, أن تكون في قلب العبد خشية الله الخوف من الله.

وهذا الإمام مالك إمام دار الهجرة رحمه الله تعالى يقول: "العِلم والحكمة نور يهدي به الله من يشاء وليست بكثرة المسائِل", فانتبهوا يا رعاكم الله من هذا الأمر الخطير أننا نحفظ العِلم ونجمع الكتب ونأخذ الإجازات والتزكيات والشهادات ومع ذلك ليس للعلم في واقعنا وفي حياتنا وفي أخلاقنا تأثير حي واقع محسوس ملموس, هذا الإمام الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول قد كان الرجل يطلب العِلم -زمن السلف- كان الرجل يطلب العِلم وما أن يمكث قليلاً إلا وتجد أن العِلم أثر في صلاته وأثر في خشوعه وأثر في بصره وأثر في لسانه, تجد العِلم سبحان الله يؤثر في حياته كلها, هكذا كانوا رضي الله تبارك وتعالى عنهم.

أما عن عبادتهم فهم قد ضربوا أروع الأمثلة في قوة العِبادة, كان شغلهم الشاغل ,كانوا يعبدون الله في كل وقت في السراء وفي الضراء في السفر في الحضر في البيت في المسجد مع الناس أو كان وحده ولماذا لا يكونوا في هذا المستوى وقدوتهم هو نبيهم محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم, فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يضرب لنا أروع الأمثلة في قوة العبادة فكان يقوم الليل صلى الله عليه وسلم حتى تتفطر قدماه فتقول له عائشة رضي الله تعالى عنها يا رسول الله لماذا تكلف نفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: " أفلا أكون عبداً شكوراً" الله أكبر.!

اسمعوا إلى هذه القصة: عبد الله ابن عمر الصحابي الجليل العابد الصائم القائِم العالِم عبد الله ابن عمر رأى رؤيا أنه أتاه ملكين - والحديث في صحيح البخاري - أتاه ملكين فأخذاه إلى النار - هذه في الرؤيا في المنام - فيقول فرأيت النار وهي مطوية كطي البئر ورأيت أناس عرفتهم فقلت أعوذ بالله من النار أعوذ بالله من النار أعوذ بالله من النار, فذهب عبد الله ابن عمر يقص هذه القصة على أخته حفصة أم المؤمنين زوجة النبي صلى الله عليه وسلم فقصّتها حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم, فماذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: " نِعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل", انظر إلى واقع الصحابة بهذه الكلمة تأثر بها تغيرت حياة عبد الله ابن عمر, ليست بخطبة ولا درس ولا محاضرة, كلمة واحدة سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم تأثر بها حتى قال سالم وبعدما سمع هذه الكلمة عندما قال رسول الله عليه الصلاة والسلام "نِعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل" بعدها كان عبد الله ابن عمر لا ينام من الليل إلا قليلا, تطبيق عملي واقعي مباشرة التأثر أما نحن كم نسمع من المحاضرات والخطب والدروس آلاف كم طبقنا منها في واقعنا وفي حياتنا وفي سلوكنا؟

محمد ابن طلحة صحابي جليل آخر رضي الله تعالى عنه كان يُلقب بالسّجّاد يسمونه السجاد تدرون لماذا ؟ لكثرة صلاته وشدة عبادته كان يُلقب بالسجاد.

عبد الله ابن الزبير كان صواماً قواماً كما قال عنه عبد الله ابن عمر, بل سُئِل نافع عن عِبادة ابن عمر في بيته - بعض الناس بس فقط يعبد الله عند الناس إذا كان مع الناس وفي المساجد يعبد الله أو في بعض المواسم موسم مثلاً رمضان أو مثلاً إذا جاءته مشكلة أو مصيبة أو سُجِن فتجده ناسكاً عابِداً صائماً ذاكراً لله وما أن ينتهي رمضان أو تنتهي هذا الأزمة وهذه المشكلة وهذه المصيبة إلا وتجد هذا الإنسان والعياذ بالله يصبح شيطاناً رجيماً - سُئِل نافع عن عِبادة ابن عمر ماذا كان يفعل في البيت فقال: "لا تُطيقونه", يعني ابن عمر عنده عبادة عظيمة قال لا تُطيقونه قال: "كان يتوضأ لكل صلاة والمصحف بينهما" يعني في بيته إما صلاة وإما عبادة وإما ذِكر وهكذا كان الصحابة, كان الصحابة حياتهم كما نقول سلسلة من الحلقات المتتابعة في طاعة الله جل وعلا فما أن يخرج من عبادة إلا ويدخل في عبادة أخرى وما أن يخرج من ذِكر إلا وأن يدخل في ذِكر آخر وما أن يخرج من طاعة إلا ويدخل في طاعة أخرى, حياته سلسلة من الحلقات المتواصلة في طاعة الله سبحانه وتعالى ليس هكذا فقط بل حتى في السفر نحن الواحد منا عندما ننظر في واقعنا الواحد منا عنده كسل وتثاقل في العبادة والطاعة في السفر, الصحابة بعضهم كان عنده قوة خذوا على سبيل المثال ابن أبي مليكة التابعي الجليل رحمه الله يقول صحبت ابن عباس في السفر من مكة إلى المدينة فكان إذا نزل - تصور الإنسان إذا نزل في السفر يرتاح وينام - ابن عباس إذا نزل في سفره يقول يقوم شطر الليل يعني ما يقارب نصف الليل أو ثلث الليل جزء من الليل يقومه ابن عباس, حتى في السفر كانوا لا يتركون قيام الليل, وهذا الصحابي الجليل حمزة ابن عمرو الأسلمي يسأل رسولنا عليه الصلاة والسلام يقول يا رسول الله إن عندي قوة على الصيام في السفر أفعلي جناح يا رسول الله أن أصوم في السفر - الجُناح الإثم - فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنها رخصة من الله" الله أعطاك رخصة إنك ما تصوم ولكن إن فعلت أو إن صُمت فلا حرج أو لا جُناح عليك, فاحذر يا عبد الله كل الحذر أنّ الله سبحانه وتعالى العظيم الكبير الذي لا تخفى عليه خافية أن يطلع على قلبك ويعرف من قلبك أنك تريد أن تتفلت من الواجبات والطاعات, لأ, لا بد أن يكون عندك حب وشوق ورغبة في العبادة والطاعة هكذا كان الصحابة رضوان الله تبارك وتعالى عليهم, ومن رحمة الله جل وعلا بنا أن الله سبحانه وتعالى نوّع لنا بين العبادات والطاعات, أبواب الخير كثيرة ومتنوعة وهذا من رحمة الله جل وعلا بنا, قال صلى الله عليه وسلم: "كل معروفٍ صدقة", فحاول يا عبد الله أن يكون لك نصيب في كل باب من أبواب العبادات أن يكون لك نصيبٌ منها ولو كان شيئاً يسيراً.

أما عن خوفهم من ربهم سبحانه وتعالى وورعهم وزهدهم وخشيتهم ,كيف كانوا رضوان الله تبارك وتعالى عليهم؟

كانوا هم الأسوة كان شعارهم كان سمتهم الخوف والخشية من الله جل وعلا ولهذا ذكر الله جل وعلا عنهم وأثنى عليهم: (إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا) الله أكبر! لعظم الإيمان في قلوب الصحابة كانوا يستعظمون الذنوب, ليس كحالنا الآن نستهين بالمعاصي والذنوب ونقول هذه صغيرة وهذه كبيرة وهذا قشر وهذا لُباب, وهذه بدعة خرجت علينا في هذه الأزمان المتأخرة بدعة ما أنزل الله بها من سلطان يقول يقسّمون الدين بين قشرٍ ولُباب بدعة ما أنزل الله بها من سلطان, الصحابة عندما ننظر في واقعهم كانوا يُعظمون الله ومن يعظم شعائِر الله فإنها من تقوى القلوب ومن يعظم حرمات الله فهو خيرٌ له عند ربه.

كيف كان الصحابة؟

روى البخاري في صحيحه من حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه - انظر انس ابن مالك يخاطب من؟ يخاطب التابعين- يقول : "إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعرة كنا نعدها في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات "يعني من المهلكات وأنتم تعدونها

أمور بسيطة و سهلة ويسيرة, فكيف لو خرج الآن أنس ابن مالك رضي الله عنه في واقع المسلمين ماذا يرى ماذا عساه أن يقول وقد نُحيت شريعة الله من واقع المسلمين وجئنا بدساتير وقوانين من الشرق والغرب نحكمها على رقاب المسلمين قوانين عفنة إي وربي إنها عفنة عفنة عفنة نحكمها في رقاب المسلمين, كيف لو خرج الآن أنس ابن مالك ورأى واقع المسلمين وبلاد المسلمين وقد غزاها الصليبيون وانتهكوا الأعراض ودنسوا المقدسات ماذا عساه أن يقول عندما يخرج على واقع المسلمين ويرى الفضائيات الفاجرة الفاسقة التي غزت بيوت المسلمين وأفسدت الدين والخلق والعقيدة, ماذا عساه أن يقول أنس ابن مالك رضي الله تعالى عنه عندما يخرج على واقع المسلمين ويرى أن البنوك الربوية قد انتشرت في كل مكان, البنوك التي حاربت الله ورسوله ويرى التبرج والسفور في كل مكان ماذا سوف يقول ؟ أنا أتصور والله تعالى أعلم لو خرج الآن أنس ابن مالك ورأى واقع المسلمين وحياة المسلمين وأخلاق المسلمين ومحاكم المسلمين والله ممكن تأتيه سكتة قلبية يموت أنس ابن مالك عندما يرى واقع الناس! فهل نحن أحبابنا الكِرام نُعظم أمر الله سبحانه وتعالى في قلوبنا نعظم شرع الله؟ وتعظيم الأوامر من تعظيم الآمر, عندما نعظم أمر الله هذا دليل على تعظيمنا لله, والله جل وعلا يقول: (مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) والوقار أي عظمة ,لماذا لا تخافون الله ؟ لماذا لا تعظمون الله ؟ الناس الآن يعظمون الملك الفلاني والرئيس الفلاني يعظمونه وينقادون إلى أوامره ولكنهم لا يعظمون الله سبحانه وتعالى, وإن تعظيم الذنب هذا دليل على الإيمان وهذا يتولد منه الاستغفار والتوبة والندم والبكاء والانطراح بين يدي الله سبحانه وتعالى ,فعظّموا الذنوب يا رعاكم الله واحذروا من موت القلب.

ولقد ضرب لنا الصحابة رضوان الله تبارك وتعالى عليهم كذلك في جهادهم أروع الأمثلة ,الصفة البارزة في حياة الصحابة -كل الصحابة- على اختلاف مراتبهم وقدراتهم العلمية الصفة البارزة لهم حب الجهاد والشوق إلى القتال في سبيل الله وعشق الشهادة هكذا كان واقع الصحابة كانوا يحبون الجهاد ويشتاقون إليه, ولقد روت لنا السيرة النبوية أن رسولنا عليه الصلاة والسلام كان قبل أن يخرج إلى الغزو كان يستعرض الصحابة فكان يرد الصغار, الصغار الذين لم يبلغوا الحُلم كان الرسول يردهم لا يجعلهم يشاركون في القتال والجهاد, وقد رُد كثير من الصغار تصوروا صِغار, صِغار يشتاقون إلى الجِهاد ويحبون الجهاد ويرغبون في الجهاد ونحن عندنا كِبار وعلماء ومشائخ ودعاة وطلبة علم لا يرغبون في الجهاد ولا يحبون الجهاد ولا يشتاقون للجهاد - عجبٌ والله - !فمن الذين رُدوا على سبيل المثال وكانوا صغاراً في السن ردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رافع ابن خديج, زيد ابن ثابت, زيد ابن أرقم, ابن عمر رضي الله تعالى عنهم, اسمعوا إلى هذا الموقف حتى تعرفوا كيف كانوا, كيف كانوا أي كيف كان الصحابة مع الجهاد فأنت تسأل نفسك كيف أنا مع الجهاد هل أنا أحب الجهاد أرغب في الجهاد أشتاق إليه أم أنني من المتخلفين والمتقاعسين والمتخاذلين ؟

اسمعوا إلى هذه القصة العجيبة:

عُمير أحد الصحابة كان صغيراً, عُمير ابن أبي وقاص (أظن هكذا اسمه) في أحد الغزوات أظنها غزوة بدر كان يتوارى بين الرجال كان صغيراً فيتوارى يتخفى بين الرجال الكِبار حتى لا يراه الرسول عليه الصلاة والسلام يتوارى فرآه النبي صلى الله عليه وسلم فرده عليه الصلاة والسلام, كان صغيراً في السن لم يبلغ فبكى بكى يا ناس بكى لماذا ؟ لأنه ما ذهب إلى الجهاد الرسول رده ,وعندنا أناس يفرحون ويضحكون لأنهم لم يشاركوا في الجهاد وهذه صفة خطيرة مصيبة عظيمة أن الإنسان يفرح لأنه ترك الجهاد هذه صفة من صفات المنافقين وقد قال الله تعالى: (فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللّهِ وَكَرِهُواْ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ) ولكنهم ما يفقهون هذه المشلكة ما يفقهون والنبي صلى الله عليه وسلم ماذا يقول؟

جاء في صحيح مسلم:" من لم يغزُ" - انتبه احذر أن تقع في هذا الوصف – " من لم يغزُ ولم يحدث نفسه بالغزو مات " - على ماذا؟ على شعبة من الإيمان؟ على شعبة من التقوى؟ لا – " مات على شعبة من النفاق", فلا تغتر يا عبد الله بكثرة علمك وحفظك للقرآن وأنك مشهور وتخرج في الفضائيات ومرموق وعندك أعلى الشهادات وأعلى المناصب, لا, أنت ما تحدث نفسك بالغزو والجهاد فيك صفة من صفات المنافقين, لم أقل هذا الكلام من عندي إنما قاله رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم فالصحابة رضي الله عنهم وهم صِغار يبكون, فعندما بكى هذا الصحابي الجليل الشاب عمير الرسول عليه الصلاة والسلام عطف عليه وتجاوز عنه يعني ذهب يشارك في القِتال والجهاد. الله أكبر!

والصحابة كانوا يفتخرون بالجهاد والغزو هذا عبد الله ابن أبي أوفى كما جاء في الصحيحين يقول: "غزونا مع رسول الله سبع غزوات نأكل الجراد", يفتخرون ويعدونها من المناقب بل أن الإمام الذهبي إذا ترجم لأحد الصحابة يقول من أول مناقبه يقول "وشهد المشاهد كلها" وشهد أحد وحنين وبدر فكانوا يفتخرون لأنهم شاركوا في الغزو والجهاد والقِتال مع رسول الله.

وصحابي آخر رافع ابن خديج يقول: "غزوت ما يقارب من خمسة عشر غزوة", وعندنا أناس الآن أربعين ثلاثين سنة في العِلم وبين الكتب والدروس والخُطب والمحاضرات ولم يغزُ مرة واحدة في حياته لم يجاهد الروس ولم يجاهد الصرب ولم يجاهد الصليبيين, والصحابة يفتخرون, بل الآن يعدونه من العيب يقول احذر أن تكون إرهابي ! لا تكن إرهابي أو متطرف أو صاحب فكر منحرف, أصبح الذي يحمل هم الجهاد يقال عنه صاحب فكر منحرف مع أن في الشريعة الذي لا يحمل فكر الجهاد يعتبر فيه شعبة من شعب النفاق, لماذا ؟ لأنه لا يحمل همّ الجهاد وفكر الجهاد, هكذا كان الصحابة, كيف كانوا؟ كان حب الجهاد يسري في دمائهم وأرواحهم, هكذا كانوا رضوان الله عليهم إذا كنا نزعم أننا نحب الصحابة ونقتدي بالصحابة طيب ولماذا لا تقتدي بهم في الجهاد ؟

لماذا تترك الجهاد ؟

وترك الجهاد مصيبة عظيمة ما حلت بالمسلمين المصائب والكوارث إلا بسبب ترك الجهاد كما قال النبي صلى الله عليه وسلم أن الأمم تتداعى علينا ثم بيّن الرسول عليه الصلاة والسلام أن سبب الذل والخنوع الذي في واقع المسلمين هو بسبب ترك الجهاد الركون إلى الدنيا وترك الجهاد وهذا هو الواقع, واقعنا الآن نجد أكثر الناس والعياذ بالله قد تركوا هذه الفريضة العظيمة فريضة الجهاد.

أما عن واقعهم في الدعوة إلى الله جل وعلا فالصحابة رضوان الله تبارك وتعالى عليهم كيف كانوا؟

لم يكونوا فقط علم وعبادة ويتركون الناس في جهل وفي ظلمات وفي شرك وفي بدع ,لا بل كانوا يجتهدون في الدعوة إلى الله قال الله جل وعلا: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) بل إن ربنا سبحانه وتعالى يقول: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) لماذا يا رب كنا خير أمة أُخرجت للناس ؟ هل لأننا بنينا الدور وعمّرنا القصور وركبنا المراكب الفاخرة وأخذنا الشهادات المرموقة ؟ لا , (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) هذا شرط أنك تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر حتى تكون من خير أمة, وكان رسولنا عليه الصلاة والسلام يربي الصحابة ويغرس في قلوبهم حب الدعوة, عندما جاء مالك ابن الحويرث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شاباً وجلس عند رسول الله عليه الصلاة والسلام عشرين يوماً فماذا قال لهم رسولنا عليه الصلاة والسلام؟ قال: "اذهبوا إلى أهليكم وعلموهم وأمروهم" وذكر أشياء ثم قال: "وصلوا كما رأيتموني أصلي", إذاً رسولنا عليه الصلاة

والسلام يربي الصحابة أنهم لا بد أن يعلموا الناس وأن يختلطوا بالناس وأن يأمروا بالمعروف وأن ينهوا عن المنكر وأن لا يرضوا بهذا الواقع الذي نحن نعيشه الواقع الذي قد تخاذل وتقاعس وتراجع عنه كثير من الناس وتركوا الدعوة إلى الله تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا من رحم الله, فحاول يا أخي أن تأمر بالمعروف وأن تنهى عن المنكر وأن تدعو إلى الله سبحانه وتعالى بالحكمة والموعظة الحسنة ولو كان عن طريق الأشرطة, توزع شريط أو كتاب, كم من أناس اهتدوا بسبب أشرطة أصبحوا دعاة وأصبحوا مشائخ وأصبحوا علماء وأصبحوا مجاهدين بسبب شريط, كم من الأشرطة النافعة المفيدة لو انتشرت بين الناس لكان فيها خيراً عظيما, شريط (مفرق الجماعات) لفضيلة الشيخ خالد الراشد نفع الله جل وعلا به أُناسا كثيرين فحاول يا أخي المسلم أنك توزع الكُتيب أو الشريط النافع المفيد حتى تكون من أهل الدعوة من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

أخيراً أحبابي الكِرام كيف كان واقع الصحابة في حسن خلقهم؟

الصحابة في كل باب من أبواب الخير قد طرقوه رضوان الله تعالى عليهم حتى إذا قلنا كيف كانوا نعرف أنهم كيف كانوا في القرآن كيف كانوا في العبادة كيف كانوا في الجهاد كيف كانوا في طلب العلم كيف كانوا في الورع والزهد والتقوى والخشية, كذلك حتى حُسن الخُلق فكانوا يُضرب بهم المثل في الوفاء والإخاء والصدق والإحسان إلى الناس, ولِمَ لا يكونوا كذلك وقد تخرجوا من مدرسة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والله جل وعلا قد قال عن نبينا عليه الصلاة والسلام: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ), تصوروا العظيم يقول) :وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ), وقد سُئِل رسولنا عليه الصلاة والسلام أكثر ما يُدخل الناس النار فماذا قال؟ قال: "الفم والفرج", وأكثر ما يُدخل الناس الجنة قال: "تقوى الله وحسن الخُلق", وقال صلى الله عليه وسلم: "إن من خياركم أحاسنكم أخلاقاً", هذا من خيارنا من أفضلنا من أحسننا من هو؟ هو صاحب الخُلق العظيم, والسيرة مليئة بمواقف الصحابة في تعاملهم في سلوكم في إيثارهم في صِدقهم في تضحيتهم الشيء الكثير, ونحن أحببنا أن نلقي نظرة مختصرة عن واقع الصحابة عن حياة الصحابة حتى نتأملها ونحاول أن نقتدي بهم.

هذا وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.